

Texte 5 – Proposition de corrigé

وَأَمَّا الْجِلَادُ فَقَدْ فَرَعَ، وَالْحَقُّ يُقَالُ، فَرَعًا شَدِيدًا إِذْ ظَنَّ أَنَّهُ قُضِيَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ عِنْدَمَا سَمِعَ مُشْرَعِي الْقَانُونِ يَتَكَلَّمُونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَعَنْ حُبِّ الْبَشَرِيَّةِ وَعَنِ التَّقَدُّمِ. فَتَوَارَى ذَاكَ الْحَقِيرُ عَنِ الْأَنْظَارِ وَتَلَبَّدَ عِنْدَ مَقْصَلَتِهِ، شَاعِرًا بِعَدَمِ الرَّاحَةِ تَحْتَ شَمْسِ شَهْرِ تَمُوزِ/يُولْيُو كَطَائِرٍ لَيْلِيٍّ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ، مُحَاوِلًا أَنْ يُوَقِّعَ نَفْسَهُ فِي النَّسْيَانِ، سَادًّا أذُنَيْهِ وَغَيْرَ مُقَدِّمٍ عَلَى النَّفْسِ. فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَرَاهُ مِنْذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَلَمْ يَعُدْ يَصْدُرُ أَيُّ عِلَامَةٍ بِالْحَيَاةِ. إِلَّا أَنَّهُ شَيْئًا فَشَيْئًا هَدَاتُ نَفْسِهِ بَيْنَمَا كَانَ قَابِعًا فِي الظُّلُمَاتِ. فَقَدْ أَنْصَتَ لِمَا يُقَالُ فِي غُرْفَتِي الْبَرلمانِ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدًا يَنْطِقُ بِاسْمِهِ. لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مِنْ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ الرَّنَانَةِ الَّتِي لَطَالَمَا أَفْرَعْتَهُ. لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مِنْ تَعْلِيْقِ طَنَّانٍ عَلَى « الرِّسَالَةِ فِي الْجَرَائِمِ وَالْعُقُوبَاتِ »، إِذْ كَانَ الْأَهْتِمَامُ الْعَامُّ يَصُبُّ فِي شَيْءٍ مُخْتَلَفٍ تَمَامًا، فِي مَعْضَلَةِ أَجْتِمَاعِيَّةٍ شَائِكَةٍ، فِي طَرِيقِ قَرَوِيٍّ أَوْ مِيزَانِيَّةٍ أَقْطَعَتْ لِدَارِ الْأَوْبَرِ الْهَزْلِيَّةِ أَوْ فِي زَيْفٍ مَالِيٍّ بَلَغَتْ قِيَمَتَهُ الْمِئَةَ أَلْفِ فَرَنْكٍ مِنْ أَصْلِ مُوَازَنَةٍ هَائِلَةٍ قِيَمَتُهَا أَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ. لَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَعْتَدُّ بِأَمْرِهِ، قَاطِعِ الرُّؤُوسِ ذَاكَ. مِمَّا دَفَعَ صَاحِبِنَا، وَهُوَ يَلَاحِظُ ذَلِكَ، إِلَى الْأَطْمِئْنَانِ، وَإِلَى أَنْ يُخْرِجَ رَأْسَهُ مِنْ بَجْرِهِ وَيَلْتَفِتَ إِلَى كُلِّ النَّوَاحِي. فَتَقَدَّمَ خُطْوَةً ثُمَّ خُطْوَتَيْنِ مِثْلَ فَاةٍ لَا فُونْتَانِ - لَسْتُ أَذْكَرُ أَيَّهَا - ثُمَّ جَازَفَ بِالْخُرُوجِ مِنْ تَحْتِ صِقَالَتِهِ فَتَسَرَّعَ إِلَيْهَا ثُمَّ رَأَبَهَا وَأَصْلَحَهَا وَجَلَّاهَا وَلَا مَسَهَا وَحَرَكَهَا وَلَمَعَهَا وَأَعَادَ تَشْحِيمَ الْأَلَةِ الْعَتِيقَةِ الصَّدِئَةِ الَّتِي عَطَلَتْهَا الْبَطَالَةُ. فَإِذَا بِهِ يَدِيرُ رَأْسَهُ وَيَمْسِكُ عَشْوَانِيًّا عِنْدَ أَوَّلِ سِجْنٍ وَصَلَهُ بِشَعْرٍ أَحَدِ الْمُنْحُوسِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَكَّنُونَ بِالْحَيَاةِ، فَسَحَبَهُ نَحْوَهُ وَجَرَدَهُ مِنْ ثِيَابِهِ وَرَبَطَهُ وَأَقْفَلَ عَلَيْهِ، وَهِيَ عَمَلِيَّاتُ الْأَعْدَامِ تَتَفَدُّ مِنْ جَدِيدٍ.

إِنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرُوعُ الْأَرْوَاحَ لَكِنَّهُ حَقِيقَةُ التَّارِيخِ.

أَجَلٌ، كَانَ هُنَاكَ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ وَقَفَ لِلتَّنْفِيزِ حَظِي بِهِ بَعْضُ السُّجَّانِ الْأَشْقِيَاءِ مِمَّنْ تَفَاقَمَتْ عُقُوبَتُهُمْ بِشَكْلِ اعْتِبَاطِيٍّ وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَى الْأَمَلِ بِالْحَيَاةِ. ثُمَّ أَبْطَلَ وَقَفَ التَّنْفِيزِ، وَذَلِكَ دُونَ سَبَبٍ، دُونَ ضَرُورَةٍ، بَلْ دُونَ مَعْرِفَةٍ لِمَاذَا، هَكَذَا، ذَاتَ يَوْمٍ، لِأَجْلِ

المتعة، حتى عاد القهر يمارس على تلك المخلوقات كلها. بالله أسألكم! ماذا يعيننا نحن أن  
يعيش كل هؤلاء؟ اليس في فرنسا هواء كاف لكي يتنفسه الجميع؟  
لا بد من أن شيئاً من أفضح المشاعر حل في قلب أحد أوغاد وزارة العدل ممن لا  
يكثر للأمر حتى أقام ذلك الموظف من مقعده وقال :  
- يا جماعة! لم يعد أحد يذكر إلغاء حكم الإعدام. حان أن نعود إلى تنفيذ حكم  
المقصلة.

لنقول إضافة إن تنفيذ عمليات الإعدام لم تكن قط ظروف أكثر بشاعة مما  
جرى منذ وقفها في شهر تموز/يوليو، ولم تبلغ البتة حكاية ساحة الإعدام [وهي ساحة  
البلدية اليوم] ما يثير التمرد مبلغاً أكبر، ولم تثبت النفور المقيت إزاء الحكم بالإعدام أوثق  
الإثبات. فإن هذا الرعب المضاعف العقوبة العادلة لأناس أعادوا العرف الدموي إلى  
التنفيذ. أن تعاقبهم أعمالهم ؛ فهذا من حسن العقاب.

من « اليوم الأخير لمحكوم بالإعدام » ليفكتور هيغو